المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع عشر بعد المئة

١ يوليو سنة ١٩٥٠ — ١٧ شعبان سنة ١٣٦٩

الصهيونية وضد الساميّة

للسير أرنوجيث

صدر في العام الماضي كتاب جديد بقلم الدكتور ارنوجيث يوضح « نظرية » جديدة في التطور البشري « سلخ فيه بضعة عشر عاماً . والمؤلف يعد في مقدمة علماء الانثربولوجيا (التاريخ الطبيعي للاجناس البشرية) . وله في هذا الكتاب بحث مهم في الصهيونية « و » ضد الساميّة » . فأثرت أن أنقله الى المقتطف لكي يرى القراء عقيدة كبير علماء العصر ورأيه في الموضوع الذي شغل بال الناس في العصر الاخير . كتب : —

منذ أكثر من نصف قرن كانت لي فرص مناسبة لدراسة اليهود عن كثب . وجمعت في مدة ٣٠ سنة حقائق مختلفة عنهم ودرست تواريخهم التي لا ينقصها شيء . وليس غرضي أن أضيف فصلاً لتاريخ اليهود ، بل ان نظرية التطوُّر البشري التي بسطتها في هذا الكتاب تساعدنا على أن نفهم أصل اليهود كشعب قائم بنفسه ، منفصل عن سائر الشعوب ، وأن نفهم سبب الحظ السيء الذي رافقهم في تاريخهم الطويل . وهناك عاملان جوهريان لنظريتي : الاول : أن التطوُّر البشري يقوم بمناهضة جماعة لاخرى . الثاني أن الجماعات تبقى منفصلة بعضها عن بعض بعامل العداوة المتبادلة بينهما . فالعزلة هي شرط لا بدَّ منه للجماعة اذا كانت تتطوَّر . إني أنسب العواطف السيئة التي يحتمل أن تنشأ في الأمم ضد جماعات اليهود التي هي ضيوف عليها — أنسبها الى العداوة التي تفصل الجماعات المتطورة بعضها

من بعض — وأعني بها الحركة التي تثير ثائرة العالم المتمدن الحديث المعروف باسم «ضد السامية» (١)

وأول حركة كانت ضد اليهود ذُكرت في سفر استير (من التوراة) الذي كُتب في القرن السادس قبل المسيح (٢). فقد ورد في العدد السابع فما بعد من الاصحاح الثالث: —

«في الشهر الاول أي شهر نيسان في السنة الثانية عشرة للملك أحشويرش كانوا يلقون فوراً أي قرعة أمام هامان من يوم الى يوم ومن شهر الى شهر الى الثاني عشر أي شهر اذار. فقال هامان للملك احشويرش انه موجود شعب، مفترق ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك أديانهم مغايرة لجميع الشعوب، وهم لا يعملون سنن الملك، فلا يليق بالملك تركهم. فاذا حسن عند الملك ليكتب أن يبادوا الخ.»

(عن الاصل العبري)

هذا كان أول خبر عن اضطهاد اليهود، أي ضد السامية وعن أول هتلر في التاريخ. لأن هامان في فارس القديمة كرّس نفسه للعمل المضاد للانسانية كما فعل هتلر في المانيا الحديثة. وبين زمن هامان وزمن هتلر لم يتمتع اليهود بالراحة والسلام في أي بلاد زمناً طويلاً. قال ريبان ان «مضادة السامية» تتكرر في كل مكان في جميع الأزمنة. وانكلترا التي كانت متساهلة جداً مع اليهود في العصور الاخيرة لم تكن هكذا دائماً. فقد حدثت مذابح في لندن وفي يورك قبل أن تطرد انكلترا اليهود في سنة ١٢٩٠. وكذا يمكن أن يقال عن فرنسا التي طرد منها اليهود في سنة ١٣٠٦. وكانت انكلترا وفرنسا في القرنين ١٣ و١٤ لا تزالان بربريتين في عتليقيهما. ولذلك كانتا أكثر عرضة للثورة العنصرية منهما في العصر الثقافي الاخير. يجب أن نتذكر أن هاتين المملكتين كانتا في القرون السابقة متدنيتين ان تكونا ذاتي عقلية شعبية أو أممية. وأنا أعزو الى «الشعبية» لا الى التمدن أو القدمية الدينية، مظاهرات اضطهاد السامية في غربي أوروبا. في القرن العشرين كان شعب المانيا متمدناً ومثقفاً ومع ذلك فقد بلغ الشعور فيه ضد اليهود أبلغ ما يمكن من القسوة والشناعة. فقد اختدم الاحساس الالماني بالجنسية حتى صار حرارة بيضاء بنفخ زعيمه هتلر المتعصب

(١) السامية نسبة الى سام بن نوح والمراد بها السلالة المتناسلة من سام وخصوصاً اليهود، وأطلقت أخيراً على معظم الامم الاسيوية. والحركة الثائرة «ضد السامية» يراد بها ضد اليهود.

(٢) وقد كتب اليهود أنفسهم بعد رجوعهم من سبي بابل، وكتبوه كما توحي إليهم قلوبهم

في كوره ، لأن هتلر كان وطنيًّا صريحاً في سنة التطرُّف . وفي رأي الكثيرين أن العداء للسامية يحتمل جداً أن يشتد حينما يقيم اليهود كجالية كبيرة مكاتلين . ففي نيويورك مثلاً حيث كان في سنة ١٩٣٩ نحو ثلاثة ملايين و٣٠٠ الف يهودي ، وتم عشرة بالمئة من السكان ، كان العداء للسامية داء متوطناً . فلا يمكن أن يكون دائماً هذا العداء بسبب الازدحام ، لأنه في مدينة نيويورك العظيمة العدد الآن لا أقل من ٢٠ بالمئة يهود ، ومع ذلك فالمدينة سليمة من مناهضة السامية المنظمة .

والآراء بشأن أصل هذه المناهضة وسببها وطبيعتها مختلفة اختلافاً كلياً . ولكن في نقطة واحدة يتفق الثقات اليهود «والأمم »[1] وهي أن هذا العداء يتلاشى بالزواج الحر بين اليهود والأمم . بهذه الوسيلة البسيطة يمكن اليهودي أن يكسب الحريات التي كان يتوق لها ، ويريد أن يحصل عليها بالطريقة التي كان يأبأها باحتقار في جميع الأجيال . وكان اليهودي يغضب ويتقد غيظاً بالتلميح الى أن الامتزاج بالزواج هو العلاج الوحيد لهذا العداء . وه ناميز » أحد الباحثين في هذا الموضوع يعتبر أن الامتزاج بين الفريقين انما هو اعتراف بالانحطاط (من قبل اليهود) . وفي مطالعاتي لم أعثر على شاهد واحد على جماعة يهودية واحدة ملوثة نفسها طوعاً بالزواج من الأجانب (الجويم) لأن الخوف من هذا الامتزاج متأصل في طبيعة اليهودي . واليهودي المتشبع عقله بالدين يفسر لك أن خوفه من الالتحام بالامم الأخرى ورغبته في أن يخلد جنسه انما هما عبارتان عن اصراره على أن يحتفظ بإيمانه لكي يتم رسالته الالهية . فبهذا المعنى تعتبر «مضادة السامية» هي ما يدفعه اليهودي تمشياً ليس لسلالته بل لدينه .

وقد قال أحد الناس لقراء جريدة التيمس أن «ضد السامية»[2] يُفسَّر بلغة الدين والتاريخ والعاطفة ، وليس بلغة علم الأجناس البشرية . وإنما أنا أحاول أن أفسر هذا الخلل الاجتماعي بلغة علم الأجناس . وإذا شئنا أن نظفر بعلاج له وجب أولاً أن نحسن تشخيص

(١) من قديم الزمان من عهد سليمان بن من عهد موسى كان اليهود يعتبرون انفسهم كل من ليس يهودياً أي انه من الامم التي لا حظ لها بشعب الله . وكانوا لا يزالون يسمون الامم «جويم» أي الاغراب المنبوذين الانجاس .

(٢) عبر بعبارة « ضد السامية » هي عبارة Anti Semitism

الداء . وقد رأينا في مباحثنا السابقة (في كتاب المؤلف) أن النعرة السلالية تنشأ حين تختلط سلالتان في منطقة واحدة ، أي في اقليم واحد . وهكذا « ضد السامية » في مثل هذا الظرف انما هو نوع من « السلالية » . وهنا دليل آخر على أن « ضد السامية » هو نوع خاص من الطبيعة السلالية ، هو اجتماعي في فعله . فمن كان «ضد السامية» يلوم الجماعة لسوء عمل أي واحد من أفرادها . أما « ضد السامية » كسائر صور أو أشكال «السلالية» لم تنشأ من الداخل ، بل هي خلة مكتسبة من الخارج ، وإنما أساسها العاطفي والعقلي مولود من الداخل . العواطف السلالية إذا حُرِّكت أمكن أن تفعل الفظائع التي لا توصف .

كتب صديقي الأستاذ هوتون من هرفرد : « ليس على الانسان أن يكون عالماً بالسلالات البشرية لكي يتحقق أن الجماعة التي تمتاز طبيعيًّا واجتماعيًّا تثير بلا شك الحسد والبغضاء في الجماعات الأخرى . وفرنز بوعز الانثروبولوجي اليهودي المشهور يشير « السلالية » كعداء يثار بفعل قاسك الجماعة » . والجماعات اليهودية إنما هي جماعات متكتلة . ولكن في الهند ألوف الطوائف المتجاورة ، فلا يحدث بينها نزاع صريح ، إلا اذا كان تحت جماعات مختلفة في عنصريتها جدًّا فقد تقتتل . والاستاذ فلورقرب الى الحقيقة حين قال « ان الوجدان الجماعي يكره ما لا يستطيع أن يندغم فيه ويتمثله » . وقد ذكر كرونهوف كارجي . ان ما أهاج الاغريق الرومان ضد اليهود كان ذلك الحجاب الذي لا ينفذ الذي أقامه اليهود بينهم وبين من ليسوا يهوداً . وإنما فعلوا هذا لان شريعتهم أحرجتهم ان يفعلوه » . فأظن إذن ان هذا هو التعليل الصحيح الذي كتبه صديق عن التراس النفساني الذي أحاط اليهود أنفسهم به لكي يتفادوا امتصاص غيرهم لهم . وكتب ساكار سنة ١٩٣٤ عن ثلاثة مليون يهودي في روسيا : « إنهم قوم غير قابلين للإلتحام مع غيرهم ، وأنهم قساة كالحديد وعنيدون كالموت . هم عظمة ضخمة في بلعوم الشعبية » وماذا حدث لليهود في روسيا بعد ما كتب ساكار هذا الكلام ؟ لا أدري . ولكن مع ذلك لا أستطيع أن أعتقد ان حكومة السوفيات نجحت في امتصاصهم [1] . ولكي أتم

(١) ولكن يظهر ان السر أرنركيت لا يدري ان معظم الذين أحدثوا الانقلاب في روسيا هم يهود . ولقد اختفت جنسيتهم وراء الالحاد الذي حملوه على الروسيين

تعليقي على تصرف اليهود بآراء الأمم (الجويم) المحيطين بهم يجب ان أذكر شهادة عالم يهودي هو الأستاذ تامير الذي سبق ذكره بقوله : « ما دام اليهود جماعة منطوية على نفسها متراصة وذات وجدان وشعور قومي خاص بهم فهم يحافظون على قوتهم وحيويتهم »

ولعل أظهر الخواص العقلية في السلالة هو عدم رؤيتها الأشياء من ناحية الشعب المضاد . والعقيدة التي يتمسك بها المرء بشأن أمته أو سلالته هي طبيعة اقتناعه المغروسة في وجدانه بأن عقيدته لا تحتمل النقض، وتبقى هكذا ليست موضوعاً للبحث . واليهودي متحير بإخلاص وبلا تصنع في سبب سلوك الأمم ضده . وأحياناً ينسب هذا العداء للحسد له من جراء نجاحه الذي يلازم جهاد الجانب الأكبر من اليهود في المهن الراقية . وهو مبال لأن يعزو قساوة الأمم الى طبيعة الشر التي لا بدّ منها بكبش الفداء . ويندر أن يسأل : « لماذا قومي مكروهون لدى كثير من الأمم ؟ » وجوزف كاستين يفسر هذا الكره بقوله : « اليهودي لا يسأل عدوه لماذا تعاملني هكذا ؟ وهو يتوجه الى المحكمة العليا ويسأل : لماذا تحكمين عليّ هكذا ؟ » وكاستين يضيف الى هذا في كتابه قوله : « دعنا نتذكر تعليم تاريخنا العظيم ان « ضد السامية » ليس قضية يهودية بل هو قضية أجنبية أي أممية . وكذلك الجملة الأولى في كتاب لويس جولدن هي : « ان ضد السامية ليس قضية يهودية بل هي قضية أممية » . وقد كتب لي يهودي وجيه مختاز يقول : « لعلك ترى ان سبب هذا الترفع ليس في اليهود أنفسهم بل في الشعب الذي يقيم اليهود معه » والأستاذ هرتون لا يسام بهذه الملاحظة فيقول : « اني أشك في أن الأسبقية في الكره والميل الى العزلة ليست في غير اليهود » ان في قدم الأمم دمامل سلالية متى أدست عليها صرخت الأمة ذات الدمل . والعادة ان لا تلوم الشخص ذي الدمل بل تلوم الدائس . والذين يؤيدون المسلك اليهودي يردون على هذا القول : « دع الأممي يعالج دمله السلالي ، لقد مضى على الأممي القاسية وهو يطلب العلاج فلم يظفر به »

ان مطلع علاقة اليهودي بالأممي معتم لولا ان بعض اليهود أمكنهم ان يروا الأشياء بعين أممي أو من وجهة النظر الأممية . في ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٤ ظهر في جريدة الكرونكل اليهودية مكتوب نأخذ منه الفقرة التالية : « يتضح انه ليس حقيقياً ان النكبة اليهودية

نتجت من عدم التسامح فقط . وكل ما على اليهود ان يفعلوه هو ان يرتبطوا ارتباطاً متيناً ويسمحوا للحكومات المختلفة ان تستأصل روح «ضد السامية» . القضية اليهودية لا تخص الحكومة فقط ، بل هي ان لليهود حقوقاً يجب أن يأخذوها .

وهنا لا بدَّ من الاشارة الى السلالة التي يختص بها اليهود . ان تصرفهم مبني على قانون الثنائية ، أي ان يكون لهم قانون خاص بأبناء جنسهم ، وهو قانون المودة ، وقانون آخر لمن هم خارجون عن جنسهم ، وهو قانون العداء . ان القانون الثنائي أو النظام الثنائي هو علامة التطور السلالي أو السلالة المتطورة . ورأي الخاص ان انواع السلالية مترقية في اليهود أكثر من سائر الشعوب القوقازية [1] . الـ « ضد سامية » اذن ليست إلاَّ سمة زعاف بين السلالية .

ان زملائي الانثروبولوجيين ، بتأثير نزعة المثل العليا الادبية ، خدموا الامميين واليهود خدماً سيئة بتسميتهم أسماء جيلة لاشياء قبيحة . فهم أرادوا أن يقنعوا اليهود أنهم ليسوا سلالة ، بل هم جماعة بشرية مجموعة معاً بجامعة الدين . بل هم أكدوا لبقية الشعوب القوقازية أنهم ليسوا سلالة . ولذلك فالعداوة التي بين الامم واليهود ، انما هي نوع من الهستيريا المنبعثة مناعياً لا طبيعياً . والانثروبولوجيون الاختصاصيون بحسن ظنهم في العالم يحجبون في اخفائهم عن العالم طبيعة قروحه . فاذا أريد شفاء هذه القروح يجب أن تعرض بوضوح لنظر الجراح وأن تسمى بأسمائها الحقيقية .

والآن نتقدم النظر في الوجهة السلالية للخطط اليهودية التي نشأت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر تحت اسم الصهيونية . ان حلم النبي (ارميا) بأورشليم ، وفي وسطها صهيون ، انما هو أمنية خيالية تمسك بها كل يهودي حديث في هذا الزمن . والصهيونية كانت في بادىء امرها حركة أريد بها تحقيق هذا الحلم . وقد عزَّز هذا الأمل اعتبارات أخرى . ففي منطقة خاصة باليهود يزول خوفهم من أن تبتلع قوميتهم أمة أخرى . يكون

(١) السير ارثر كيث يعتقد أن أصل الامم الاوروبية من جميع الامم التي حول البحر المتوسط هو انسان النياندرثال Neanderthal الاول الذي عاش في الحوقس والقسم الشرقي أوروبا أو شرقي سيبريا وشمالي أفريقيا

اليهود في مركز يجيزون فيه لسائر الأمم التي اكتسبوه ، يضحون أحراراً في أن ينعشوا الساميه الأصلي — الديانة — التي أسسها سيدنا موسى ٢٠ قرناً . وفي أقليم خاص بهم يمكنهم أن يمارسوا طقوسهم ويحافظوا ليلهم ويحافظوا على ذاتهم ، يمكنهم أن يرقوا ثقافتهم بكل فروعها . وعلاوة على ذلك استقلالهم في السيادة يؤذن لهم أن يسيروا في طريق مصيرهم السلالي على هواهم . وأخيراً يعود لهم وطن قومي حقيقي .

في سنة ١٩١٧ أرادت الوزارة الانكليزية أن تتعرف بخدمة مهمة قدمها الدكتور شايم ويزمان للحرب . فسألوه ما الذي يريد مكافأة عليها .

فأجاب أنه لا يريد مالاً ولا رتبة شرف ، بل هو يود أن يكافأ مكافأة سخية وهي ان تسمح الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . فعُرض هذا المشروع على مستر بلفور ، الذي صار بعدئذٍ اللورد بلفور وهو أحد الوزراء ، ليكي يعلنه . وكان بلفور في الطبقة الأولى من السامة . وهو ذو عقل ديني وذكاء وضلاعة في الفلسفة ، ويعتقد ان الحرص على القانون والنظام أول واجبات الحكومة . فاذا ظهر التفاوت السلالي (بين العرب واليهود) يجب أن يقمع بيد قوية . وهكذا منح اللورد لويد جورج الدكتور ويزمان هذا الطلب ، وانشاه المستر وينستون تشرشل . وبهذه العملية وجدت الحكومة البريطانية نفسها منساقة الى الصهيونية .

وفي سنة ١٩٢٢ أعطت جمعية الأمم حق الانتداب على فلسطين للحكومة البريطانية ، وكان لانتدابها شرطان : الأول أن يسهّل انشاء وطن لليهود في فلسطين : الثاني أن يحافظ على حقوق سكان فلسطين ومركزهم فيها . وهكذا أصبحت بريطانيا مسئولة لدى شعبين : اليهود والعرب في فلسطين . وقد وعدت أن تحوّلهم الحق أن يعيشوا متعاونين في أرض صغيرة .

مساحة فلسطين أكثر من ٩٠٠٠ ميل مربع قليلاً ، ونصف هذه المساحة تقريباً قاحل وهي لا تحتمل أكثر من مليون ونصف نسمة ، اذا كانت تفلح وتزرع لأقصى حد . وفي سنة ١٩٢٠ كان عدد اليهود نحو ١٥ مليون نسمة في العالم كله ، وارض الميعاد الموعود بها شعب اسرائيل لا تحتمل إلا كسور هذا العدد . وفي ذلك الحين أمكن فلسطين ان تأوي نحو ٦٧٣٠٠٠ عربي منهم ٦٧٠٠٠ يهودي يعني أن يهود فلسطين كانوا عشرة بالمئة من السكان . وعرب فلسطين ، في ١٣٠٠ سنة مدة احتلالهم للبلاد ، لم يكونوا شعباً منفصلاً مستقلاً . فكانوا كسائر اخوانهم في صحاري بلاد العرب قاطنين في نظامهم وعشيرتهم ، فالخطر المشترك وحّد بينهم في أمة تائهة بنفسها وقومها . ورأى العرب ان وعد بريطانيا

اليهود بوطن قومي إنما هو تهديد لوطنهم ولمنهاج حياتهم ولوجودهم كأمة . وشعورهم هذا ساقهم الى الثورة ضد اليهود في سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢ والهياج الذي احدثه سنة ١٩٢٩ بين الفلسطين واليهود بشأن « حائط المبكى » كان شديداً وخطيراً ودمويًّا . وفي سنة ١٩٣٠ تطوَّرت عداوة العرب فصارت ضد البريطانيين كما كانت ضد اليهود . وفي سنة ١٩٣٦ نهضت الأمم العربية . فتحرك العرب وشبت حرب التحرير حرب استقلال فلسطين وقد روت جريدة التيمس في الخامس من اكتوبر سنة ١٩٣٨ « ان أنفاراً مسلحين تجمعوا في الروابي وألفوا شعباً عربيًّا متحداً . وصار الشيخ جنديًّا في حرب مقدسة . وبات استاذ المدرسة داعياً للحرب . وأصبح الأمن تحت خطر » . وتقسيم البلاد الى مناطق عربية وأخرى يهودية كما أوصت لجنة بيل الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٧ أرضى العرب قليلاً كما أرضى اليهود . ومن سنة ١٩٣٦ الى ١٩٣٩ توالت حوادث الاغتيال والقتل وخاف اليهود ان يقذف بهم العرب الى البحر، وخاف العرب ان يضطروا الى الالتجاء مع أطفالهم الى الصحراء . وفي سنة ١٩٣٩ أمكن الحكومة البريطانية ان تسكن روع العرب قليلاً بأن حددت عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين بعشرة آلاف كل سنة الى أجل غير مسمى —

والآن بدأت الحكومة البريطانية في سنتي ١٩٣٩ — ١٩٤٥ تتحقق ان بين الروح العربية والالتزام البريطاني نحو اليهود تضاداً شديداً . وفي أوائل الحرب كانت فترة هجوع في النزاع الفلسطيني .

وفي سنة ١٩٤٢ روي ان سكان فلسطين زادوا من ٧٤٠٠٠٠ في سنة ١٩٢٠ الى ١٦٢٠٠٠٠ ، والعرب ومنهم اليهود القدماء الذين كان عددهم ٦٧٣٠٠ صاروا يعدون الآن ١٫١٥٦٠٠٠ . وارتفع اليهود من ٧٦٠٠٠ الى ٤٨٤٠٠٠ . وبهذه الزيادة صار اليهود أكثر عدواناً في تصرفهم وسياستهم . طلبوا الى الحكومة البريطانية أن تنفذ انتدابها وان يسمح لليهود ان يتوفلوا في فلسطين ، وان يزداد عدد اللاجئين منهم اليها الى مئة الف في الحال ، وان لا يتحدد عدد اللاجئين على الاطلاق . قال ماجهوط ان الأمة اليهودية رجحت قضيتها بحكم القانون لا بالحرب . وفي هذه الحال رفض طلبهم فضربوا بالقانون عرض الحائط ولجأوا الى السلاح بطريقة شيطانية فظيعة . فوجد البريطانيون أنفسهم في فلسطين في نفس الموقف الذي كان فيه الرومان منذ الفي سنة . فحارب اليهود بنفس التعصب والشراسة لأجل استرداد فلسطين كما فعل أجدادهم في زمن الرومان والمكابيين لتحرير بلادهم . والستة عشر مليون يهودي المنتشرين في العالم ولاسيما يهود الولايات المتحدة كانوا يشدون أزرهم . والعرب لم يهملهم اخوانهم ، فان الاربعة عشر مليون عربي الذين في بلاد العرب والعراق وسوريا اتحدوا في

مناصرة الفلسطينيين . وكذلك فعل المصريون . ولكن ما من أمة انحازت للبريطانيين بل العكس . والولايات المتحدة طلبت الى بريطانيا أن تمنح ١٠٠٠٠٠ يهودي حق الدخول الى فلسطين في الحال

وفي سنة ١٩٤٦ تألفت لجنة من ١٢ عضواً : ستة يمثلون الولايات المتحدة، وستة يمثلون بريطانيا، وأرسلت الى فلسطين لكي تفحص الحالة وتقدم تقريراً فيها . وروت التيمس في أول مايو سنة ١٩٤٦ ان اللجنة قررت انها وجدت فلسطين معسكراً مسلحاً ، وارتأت ان العالم كله مسؤول عن طرد اليهود من أوروبا . وانه لذلك يجب أن يلجأ الى فلسطين ١٠٠٠٠٠ يهودي

وبما أن يدفع العرب الفلسطينيون ثمن العالم فلم تستصوبه اللجنة المذكورة ، كما انها رأت أن فلسطين ليست لليهود ولا للعرب بل للعالم الديني . وإذ رأت أن العالم الديني ترك العرب يحتلون فلسطين ١٣ قرناً فامتلاكها أصبح مسألة فيها نظر . وكان قرار اللجنة الرئيسي أن « تبقى فلسطين تحت الانتداب أو تحت سيطرة هيئة الأمم المتحدة الى أن يتفق العرب واليهود على أن يعيشوا بسلام معاً » ، أو انهم « يفهمون أن الخطة المرسومة ستنفذ بالقوة » . على أن الانثروبولوجي (عالم تاريخ الجنس البشري) يرى أن مستقبل فلسطين سيكون ويلاً ونكبة إذا أخذ هذا القرار كسياسة سديدة . وكان في فلسطين دولة منتدبة مدة ٣٠ سنة تقريباً . وقد أنفق دافع الضرائب البريطاني فوق المئة مليون جنيه لأجل تنفيذ الانتداب . وكانت الأمور تتقدم فيه من رديء الى أردإ . ولا قوة على الأرض تكبح جماح سلالية اليهود .

في سنة ١٩٣٠ قال القاضي السويدي لوفغرن Lofgren قولاً صادقاً عن الانتداب الذي عهد به الى بريطانيا ، الانتداب الذي قيدها بأن تنفذ غرضين لا وفاق بينهما . فقد عمدت أن تعد وطناً لليهود في فلسطين ، وبالوقت نفسه لا تسيء للعرب بشيء . وقد ظننت أن أرضاً صغيرة كهذه لا بد أن تحوي شعبين يختلفان في السلالة والعقلية . والآن (في سنة ١٩٤٧) اكتشفت خطأها . فاذا إذاً على بريطانيا أن تفعل ؟ والعادة ان الحكمة تقضي عليها متى علمت خطأها أن تعترف به وتصلحه . في سنة ١٩١٧ لم تكن الوزارة البريطانية وحدها غالطة . الصهيونيون أنفسهم لم يفهموا الموقف ، كانوا عميان عن حقوق العرب ، ظنوا ان الثروة والنجاح والثقافة، كل هذه التي سيأتون بها الى فلسطين ، تجعل العرب أن يفتحوا أبوابهم على مصاريعها لدخول اليهود اليها . فهذه الأمنية التي توقعوها كانت مفضية الى كارثات جسيمة . والموقف الحرج الذي يقفه اليهود ولا سيما الصهيونيون في فلسطين

اليوم يعطيهم فرصة لامثيل لها . وهي أن يبدوا للانسانية اشارة كريمة في جميع العالم ، وذلك أن يعدلوا عن عزمهم أن ينشئوا دولة مستقلة في فلسطين ، وان يعترفوا بالحق الشرعي للعرب بأن فلسطين لهم وهم أهلها . وان يكفوا عن مطالبة بريطانيا بالوطن القومي اليهودي الذي يجب أن يقطع من بدن العربي الحي ، وان يتفقوا مع الفلسطينيين في الحقوق والامتيازات التي يمكن أن يتمتع بها شعب هو ضيف (لا أميل) ، وإلا فاني أرى خلاف هذا حرباً دموية طويلة الأجل . إن كنت خاطئاً في هذا الرأي فالمستقبل القريب يبحث عني [٢] هذه هي الحالة في سنة ١٩٤٧ كما تراها عين عالم بتاريخ الجنس البشري (أي الانثروبولوجي) .

***

حاشية للمؤلف — اليوم قررت هيئة الأمم ان تقسيم فلسطين الى مملكتين يهودية وعربية . اليهود قبلوا التقسيم ، ولكن العرب رفضوه . وبريطانيا أذاعت ان انتدابها ينتهي في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨

حاشية للمترجم — علمت بريطانيا خطأها في منح وطن قومي لليهود وعجزت عن اصلاحه . وتركها الانتداب ، والحرب قائمة بين العرب واليهود قبل ان تصل الى حل لعقدة ابليس ، كان خطأ أشر جداً من منح الوطن القومي لليهود . ان عملية انكلترا في فلسطين سلسلة أغلاط . وقد رأت أنها أغلاط لا تصلح . فتركتها في أوخم نتائجها ، أي الاقتتال بين الفريقين وهي « تتفرج » على الدماء البريئة تجري ، وستظل تجري . هذه سياسة الدولة العظيمة التي كان صمائك السياسة يلبسون لها الحكمة والشطارة في السياسة . ونحن نلتمس لها الآن التجرد من الضمير — لا شطارة ولا ضمير . ان أفظع أغلاط الانسانية أن يكون مصير الأمم بين أيدي أفراد جهلاء وذوي مطامع شخصية . ان عملية الانكليز هي نفس عملية قاطعي الطرق الذين يسطون على الشخص الواحد فينتزعون منه ويجرّحونه ، ثم يقتصون منه ماله وثوبه ويعطونهما لشخص آخر لو أخذوه لأنفسهم لقلنا ان الطمع والاجرام قد يبرران هذا . ولكن ان يعطوا ما يسلبونه لشخص آخر ليس منهم ، لا ندري ما نسميه غير الاجرام — فهل عند أحد كلمة غير الاجرام ؟ أين أنت يا بارىء ، يا منصف . يا مجري

في العدد القادم — هل اليهود سلالة أم شعب ؟

(١) اشارة الى رواية « تاجر البندقية » لشكسبير التي يطالب فيها شيلوك اليهودي من مدينه الذي لم يستطع الايفاء وطلب لحم من جسده بحسب العقد الذي بينهما

(٢) عمر السير اوزكيت الآن (٨٠ سنة)